

تأملات وإضاءات في السيرة

(صلح الحديبية نموذجاً)

إعداد

الطالبة/ أروى صالح المحسن.

إشراف

أستاذة/ عبير الشبرمي.

١٤٣٩ هـ

المقدمة

الحمد لله الذي علم المعلم الأول، والمرابي الرحيم الحبيب المحبوب، الذي إذا ذكر اسمه فاضت المقل وإذا نظر في سيرته فهو نوح حياة، قوله واجب، وسكوته آدب وضحكته أنس وبكائه رحمة وقيادته مبادئ، كله قدوة معصوم رحمة للعالمين.

الحمد لله الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة، وسيرته شاملة لجميع الجوانب الحياة التي يحتاجها المؤمن في كل زمان ومكان، لكن بسبب جهلنا بسيرته وعدم الإقتداء أدى إلى تدهور حياة الأفراد التي تبعها الأسرة والمجتمع، فمن جهلنا بسيرة الحبيب أن الدعوة إلى الله التي نداء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل بها جبريل عليه السلام لم تكن يوماً سراً، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقل في موسم الحج بين قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، ويجلس على اعتاب الكعبة يدعو للتوحيد، وهذا دليل على أن التقسيم المتعارف لمراحل دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها سرية وجاهرية تقسيم خاطئ فالذين يدعون سراً هم أصحاب الدعوات الباطلة والأفكار الضالة، ولم يكن يسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته لكن أمر بعض المؤمنين أن يخفوا إيمانهم خوفاً عليهم من بطش قريش.

ومن المفاهيم الخاطئة بسيرته صلى الله عليه وسلم أنها لا تصلح لكل زمان ومكان فكيف لعصر في أجواء موجات الإنترنت، وطار به الحديد، وقربت البعيد، كيف يطبق فيه أفعال زمن مضى عليه ألف وأربع مئة عام. وهذا المفهوم للأسف ينادي به الجهال ولو نظروا بلمح أبصارهم لعلموا أن النفس البشرية التي خلقها الله منذ آدم إلى يومنا الحاضر هي لا تتغير فكفار قريش يتجددون في عصرنا، والروم والفرس كذلك بلون آخر.

والمعلوم للجميع أن أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم هي غزوة بدر؛ بسبب ما وجدوه المسلمون ضيق العيش حيث منعهم كفار قريش من الخروج بأموالهم. إلا أننا قد يجهل بعضنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غزا قبلها من أجل الدين وسميت بغزوة الأبواء _ودان_ في شهر صفر من السنة الأولى من الهجرة.

وقد تكلمت في تمهيد البحث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أدرجت أربع

مباحث:

١- المبحث الأول: أبرز المواقف القيادية للرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية.

٢- المبحث الثاني: التسليم في الحديبية.

٣- المبحث الثالث: بعض مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في الحديبية.

٤- المبحث الرابع: أحكام من صلح الحديبية.

الخاتمة

الفهارس

ولقد من الله علي بالإطلاع على بعض المصادر والمراجع التي تفتق ذهني بها عن صلح الحديبية، وما يطوي بين جنباته من أحكام ومبادئ ودروس وعظات.

فالشكر لله أولاً ثم كل من حفظ لنا سيرة الرسول من الأولين والآخرين والشكر لك معلمتي بتوجيهك وحرصك وعلمك.

أسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيد

مصطلحات البحث :

تأملات: ومصدرها تأمل، وفي علوم النفس هو استغراق ذهني أو حالة يستسلم فيها الإنسان لما يمر في خاطره من معان وأفكار، تفكير متعمق في موضع يتطلب تركيز الذهن والانتباه.^(١)

إضاءات: مصدرها أضاء. وإضاءة الأذهان: تنويرها بالمعرفة، وإضاءة النص: تفسيره.^(٢)

السيرة: تعني السنة والطريقة. واصطلاحًا تعني قصة الحياة وتاريخها، وكتبها تسمى: كتب السير، يُقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته. والسيرة النبوية تعني مجموع ما ورد لنا من وقائع حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخلقية والخلقية، مضافا إليها غزواته وسراياه صلى الله عليه وسلم.

الحديبية: هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، وسميت ببئر هناك عند الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، وقيل الحديبية شجرة جذباء كانت في ذلك الموضع.

(١) د. مروان عطية، المعجم الجامع.

(٢) مرجع سابق.

المبحث الأول: أبرز مواقف القيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية.

إذا تحدثنا عن سمات شخصية الحبيب صلى الله عليه وسلم فحديثنا مححف مقل فكيف لمثلنا أن نسرد الكلام عن المعصوم القدوة للأمة منذ البعثة إلى قيام الساعة بل هو سيد الرسل والأنبياء، لكنها إضاءات قصيرة مقلة تناسب ظهورها مع صلح الحديبية.

فمن سمات شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حسن القيادة وكيف لا يكون وهو قائد لأمتة في الدنيا وقائدهم إلى أبواب الجنان في الآخرة. وإذا تحدثنا عن قيادته صلى الله عليه وسلم لا نقصد فقط تلك القيادة السياسية والعسكرية بل هي أشمل من ذلك قيادة أسرة قيادة صحبه قيادة مشاعر قيادة مبادئ. حيث أنه كان دائماً يسعى لترسيخ تلك المعاني في قلوب أصحابه رضي الله عنهم^(١).

ولعلنا نعرض بعض من صورها في الأسطر التالية:-

١- برزت قيادته صلى الله عليه وسلم العسكرية في إختيار الطريق لمكة. فلقد كانت العرب تهتم بالطريق للإنتقال من مكان إلى مكان، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهم في عداء مع قريش التي تتربص به الدوائر، فيتحتم عليه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا طريقاً غير الطريق التي كانت تسلك بالعادة.

لذلك أستعان بالدليل^(٢) كي يصل هو وأصحابه بأمان إلى مكة فهو لا يعلم أي الطرق أنسب لعبوره، ولكنه صلى الله عليه وسلم بصفاته القيادية يعطي هذا الدليل النقاط المهمة ليسلكها. فأرشده إلى أن يسلك طريقاً وعراً توصله إلى مكان يسمى الحديبية.

٢- ومن أبرز قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية يتحتم عليه أن يرسل رسولاً إلى القوم لتفاوض معهم ولكن من بيعث بهذه المهمة فأشار عليه عمر أن يرسل عثمان بن عفان رضي الله عنهما لأنه كان له ظهر يحميه عند القوم فأستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وهذه المشورة فإذا دل على شيء فهو يدل على احترام الرأي الأخر، وأهمية مبدأ الشورى لدى

(١) حافظ بن محمد الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) شخص على علم بالطرق والاتجاهات تستعين به القوافل في سفرها.

القائد الناجح ، ولنا نحن المسلمين لقول الله تعالى في سورة الشورى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [٣٨].

٣- ولعل من أصعب المواقف في صلح الحديبية هي شروط التفاوض وتطبيقها وهنا يمر الحبيب صلى الله عليه وسلم بموقف الإعتراض من الصحابة رضي الله عنهم اعتراض معنوي أو كلامي، قال البزار: عن عمر أنه قال: اجتهدوا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل أراد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأي وما ألوأ - أقصر - عن الحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كتاباً بينه وبين أهل مكة، فقال: "أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم"، فقالوا: لو في ذلك صدقناك بما تقول ولكن أكتب كما كنت تكتب "باسمك اللهم" فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيت حتى قال: "تراني قد رضيت وتأيي أنت"، قال: فرضيت^(١).

لقد كانت شروط قريش على محمد صلى الله عليه وسلم تظهر الظلم الشديد بالمقابل بنود الصلح الخاصة بقريش أظهرت الغلبة لهم. تحدث بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث أدب يظهرون فيه ألمهم فكيف يرضون الذل وقد أعزهم الله، لكن أثبتت الأيام التي تلت الصلح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد نظر من الصحابة رضي الله عنهم، وأكثر حكمة في قيادته للتفاوض.

٤- بعد انتهاء التفاوض مع قريش كان على الرسول أن يرجع للمدينة، وقبل ذلك يجب عليه أن يتحلل من إحرامه. موقف صعب على الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ أصحابه صدورهم يملئها الغضب من قريش والشعور بالظلم والذل، وهو يسير بينهم يأمرهم بالحلل وذبح الفداء أمرهم ثلاثاً والكل ساكن قلوبهم تغلي. أغتم الحبيب صلى الله عليه وسلم ودخل على أمنا أم سلمة رضي الله عنها يشكو لها بخوفه على أصحابه من عقوبة العصيان، فأشارت إليه بقولها: "يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بؤدك وتدعو حالقك فيحلقك"^(٢).

والمواقف كثيرة عديدة لحسن قيادة الحبيب لإصحابه في الحديبية، ولكن حسبنا ما ذكرنا فقد أظهرت هذا الجانب من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) مسند البزار، لوحة: ٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، وهو جزء من حديث، ح ٢٥٨٣، ص ٩٧٤.

المبحث الثاني: التسليم في صلح الحديبية.

التسليم لأمر الله من ثوابت الايمان وركائز الإسلام ويقتضي الرضا بإمر الله واليقين بأن الخير بيد الله والامتثال لحكمه امرا ونهيا.

صلح الحديبية أكثر حوادث السيرة تعبيرا عن فكرة تربية الصحابة على مبدأ التسليم، وتأصيل مبدأ ترك المعارضة للوحي سواء كان مصدر المعارضة العقل أو العاطفة، تأمل قول سهل بن حنيف رضي الله عنه الدال على عميق أثر ذلك الابتلاء عليهم: (أثموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت والله ورسوله أعلم)^(١).

هذا الأثر يدل أولا: على عظم ما وقع على الصحابة من الابتلاء بواجب التسليم في تلك الغزوة، ويدل ثانيا: على أن أثر التربية على مبدأ التسليم قد وقع وتحقق، وأن الصحابة قد عقلوا الدرس تماماً فصار ترك المعارضة للوحي بالرأي مسألة واضحة بدهية عندهم^(٢).

من اشهر مواقف الحديبية انه بعد ان توالى رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وأشيع مقتل عثمان أصاب الصحابة حالة من التوتر والاحتقان وشحنت نفوسهم فتمت بيعة الرضوان ، ثم بلغ قريش ذلك وأدركوا تصميم المسلمين على القتال فأوفدوا سهيل بن عمرو لمفاوضة المسلمين ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً فقال: (لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل) وقال: (سهل عليكم أمركم)^(٣)، استبشرت نفوس الصحابة بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وظنوا أن الفرج أقبل وقرب دخولهم لمكة ، وهنا أخذت الأمور منحني آخر لم يكن بحسبان الصحابة .

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بحث بنود الصلح مع سهيل بن عمرو الذي اشتهر بالحنكة السياسية والدهاء _ لهذا اختارته قريش للتفاوض _ بعد المراجعات والمفاوضات تقاربت وجهات النظر بين الفريقين، وجاءت لحظة الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها، وكان كل خلاف يقع في المفاوضات يزيد من حالة التوتر التي كانت تعصف بالصحابة^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج ٥، ح ٤١٨٩، ص ١٢٨.

(٢) عبدالله العجيري، ينبوع الغواية الفكرية، ص ١٥٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، ج ٣، ح ٢٧٣٢، ص ١٩٣.

(٤) مرجع سابق رقم ٢، ص ١٥٩.

شرع النبي صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر الكاتب، علي بن أبي طالب، بأن يستفتح المعاهدة بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم)^(١)، وهنا اعترضت قريش، وهكذا بدأت حالة التوتر والغليان تزداد في الجيش المسلم، كما اعترضوا على لفظة (محمد رسول الله)، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به) فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطاً ولكن ذلك من العام المقبل فكتب^(٢).

يصور ذلك الإمام أحمد: (وقد كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا)^(٣).

لقد جاء ذلك الاشتراط القرشي القاسي والغريب الذي جاء ليصب الزيت على النار، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين^(٤).

يقدر الله تعالى في تلك الأثناء أن يدخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو على المسلمين هارباً من قريش مثقلاً بقيوده فارا من التعذيب والذل متفائل بوصوله لجيش المسلمين فيرد إلى قريش، هذا المشهد قبلة فجرت صدور الصحابة أبو جندل يجر إلى المشركين هذه الصورة جعلت حالة التوتر تبلغ ذروتها، لم يتمالك الصحابة أنفسهم حتى سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله تكتب هذا؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم، إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً)^(٥).

انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من كتابة الصلح ليقول لأصحابه: (قوموا فانحروا ثم احلقوا يقول الراوي: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، وهو حدث استثنائي في تاريخ الدعوة يعبر

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، ج ٣، ح ٢٧٣١-٢٧٣٢، ص ١٩٣.

(٢) نفس المرجع.

(٣) الإمام أحمد في المسند، ج ٤، ح ١٨٩٣٠، ص ٣٢٣. من حديث المسور بن مخزوم ومروان بن الحكم رضي الله عنهما. وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيق (مسند أحمد)، ج ٤، ص ٣٢٣.

(٤) عبدالله العجيري، ينبوع الغواية الفكرية، ص ١٥٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الشروط، ج ٣، ح ٢٧٣١-٢٧٣٢، ص ١٩٣.

عن الحالة النفسية التي كان يمر بها الصحابة على إثر تتابع تلك الأحداث وانتهائها بمفاجأة الرجوع من غير عمرة^(١).

لم يكن عدم استجابة الصحابة لأمر الحبيب صلى الله عليه وسلم هو اعتراض متعمد على امر الله ورسوله لكنها حاله من التوتر كيف تتابعت الاحداث والخيبة انهم لم يعتمروا والغضب من قريش كيف تتفاخر عليهم بهذه الشروط وقد اذلم الله بالكفر والذهول كيف رضى حبيبهم وسيدهم بتلك الشروط.

في طريق العودة إلى المدينة ورسول الله بكراع الغميم نزل عليه قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) فقال رجل: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: (نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح)، فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، أدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام^(٢).

هذا الدرس العظيم ربي خير القرون ومن تبعهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم على ان الخير بيد الله كرهته النفس البشرية او احبته وان الحكمة لا يعلمها الا الله فالتسليم له من مراتب الدين وركائز الإسلام.

(١) عبدالله العجيري، ينبوع الغواية الفكرية، ص ١٥٩.

(٢) مرجع سابق، ص ١٥٩.

المبحث الثالث: بعض مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في الحديبية.

١- موقف عمر رضي الله عنه يقول واصفاً ما جرى بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أأنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله! ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. ثم قال عمر فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً!!؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلنعطي الدنية في ديننا إذا. قال رسول الله: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً. قلت: أوليس تحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به؟ قال: بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام، قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوفٌ به، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً!!؟، قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلنعطي الدنية في ديننا إذا. فقال أبو بكر: أيها الرجل! إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزة فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به؟ قال: بلى فأخبرك أنك تأتيه العام، قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوفٌ به^(١).

وهنا برز لنا شدة عمر وقوته رضي الله عنه فهو ملهم الأمة وعز للإسلام، لم يحتمل شروط قريش فتوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم متسائلاً مستنكراً، وحينما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم متمسكاً برأيه توجه للصديق رضي الله عنه الذي لم يسبقه أحد في التصديق والتسليم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره، وبعد الحديبية يقول عمر عن نفسه "وما زلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به"^(٢).

٢- موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي قال: حدثنا أبو علاثة محمد بن عمرو بن خالد قال: حدثني أبي قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا أبو الأسود قال: عروة بن الزبير في

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، ج ٣، ح ٢٧٣٢، ص ١٩٣.

(٢) ابن كمال، <https://ar.islamway.net>.

نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحديبية قال: وفرعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعثه إليه، فقال: يا رسول الله: إني لا آمنهم، وليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوديت، فأرسل إلى عثمان بن عفان فإن عشيرته بها وأنه مبلغ لك ما أردت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم إنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا عماراً وأدعهم إلى الإسلام، وأمره أن يأتي رجلاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله عز وجل وشيك أن يظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان تثبيتاً يثبتهم، فانطلق عثمان بن عفان رضي الله عنه فمر على قريش ببلدح، فقالت قريش أين؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم لأدعوكم إلى الله جل ثناؤه وإلى الإسلام وأخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، فدعاهم عثمان كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد سمعنا ما تقول فأنفذ لحاجتك وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به وأسرج فرسه فحمل عثمان على الفرس فأجاره وردفه أبان حتى جاء مكة " ... ثم ذكر رسل قريش وما دار بين سهيل وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر البيعة ثم قال: " وقال المسلمون وهم بالحديبية قبل أن يرجع عثمان بن عفان: خلص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص، قال: ذلك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى يطوف معنا، فرجع إليهم عثمان، فقال المسلمون: اشتفت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي فوالذي نفسي بيده لو مكثت بها مقيماً سنة ورسول صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول صلى الله عليه وسلم ولقد دعيتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، قال المسلمون: رسول الله كان أعلمنا بالله وأحسننا ظناً^(١).

أختار الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان لسيادته في قومه، ومنعته من قريش أن يبطشوا به ولثقتة بعثمان رضي الله عنه، فحينما قال عنه الصحابة أنه ذهب ليطوف بالبيت نفى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك. وهذا ما حدث لم يطف عثمان رضي الله عنه حينما أمرته قريش

(١) دلائل النبوة ٢، لوحة: ٢٢٧-٢٢٨.

إجلالاً وإكباراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حبسته قريش عن الحرم، فحق لنا أن نتعجب من هذه الثقة المتبادلة بين القائد وتابعه.

٣- موقف أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه، لما فر هارباً إلى المسلمين من بطش قريش وتعذيبهم له، بعد أن كتبوا شرط رد من يأتي مسلماً من قريش، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين، فقام إليه سهيل -والده- وضرب وجهه وأخذ بلبته فتله وقال: هذا يا محمد ما أفاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نقض الكتاب بعد"، قال: فوالله إذا لم أصلحك على شيء إبدأ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأجره لي"، قال: ما أنا بمحيزه لك، قال: "بلى فافعل"، قال "ما أنا بفاعل، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت، ثم أخذ سهيل بتلايب أبي جندل فكان أبو جندل رضي الله عنه يصرخ في المسلمين بأعلى صوته: "يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني"^(١).

رضي الله عن أبي جندل وأصحابه، أنه لموقف يعصر فؤاد من قراءه ويكي ويهيج مشاعره فكيف من حضر المشهد أي قلوب تلك التي تحملت. رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول بكل الطرق أن يحرر أبي جندل، وسهيل يرفض ويمنعه، حتى صرخ أبي جندل للمسلمين. لكن الشروط اتفق عليها وما زالت الحكمة خافية عن قلوب وأعين الصحابة، وفي النهاية هو فتح مبین.

^(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٦٩.

المبحث الرابع: أحكام من صلح الحديبية.

أنزل الله شريعته فيها صلاح للبلاد والعباد، حيث أرسى رسوله صلى الله عليه وسلم المرابي قواعد تنظم حياة البشرية وتنيرها، كما وردت في غزوة الحديبية كثير من الأحكام والفوائد الفقهية، وغنية بالدروس والعبر التي تنير للمسلم جوانب من حياته.

وقد استرعت هذه الغزوة انتباه كثير من العلماء وحظيت بجل اهتمامهم، فابن القيم رحمه الله وقف عندها طويلاً واستخرج منها كثيراً من الأحكام والفوائد^(١)، ومنها:

١- مشروعية الشورى، وهي ميزة عظيمة لهذه الأمة، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى، وأمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استشار أصحابه رضوان الله عليهم أكثر من موطن:

أ- استشار الصحابة في الإغارة على ذراري المشركين أو تركهم، ونزل على رأي أبي بكر رضي الله عنه لما جاء في البخاري بترك قتالهم والاستمرار على ما خرج له من أداء العمرة^(٢).

ب- قبول مشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعث عثمان إلى قريش^(٣).

ت- استشار أم سلمة رضي الله عنها في أمر الناس حين لم يبادروا بالنحر والحلق، فأشارت عليه أن يبدأ بنفسه صلى الله عليه وسلم.

٢- اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب النفسي أيضاً، حينما استبشر وتفاءل لقوله لما جاء سهيل: "سهل أمركم"، فهو من باب التفاؤل المحمود، كما ذكر ابن القيم أن التفاؤل ليس من الطيرة المكروهة^(٤).

(١) د. عبدالله الرشدي، القيادة العسكرية، ص ٢٧٤.

(٢) فتح البخاري، ج ٥، ص ٣٣٤.

(٣) مرجع سابق رقم ١، ص ٣٧٨.

(٤) ابن القيم، كتاب زاد المعاد، ج ٣، ص ٣٠٥.

ولقد وردت أحاديث تبين معنى الفأل: ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا طيرة وخيرها الفأل"، قالوا: "وما الفأل يا رسول الله"، قال: "الكلمة الصالحة يسمعونها أحكمهم"^(١).

٣- تعليق النبي صلى الله عليه وسلم وربط قلوب أصحابه رضي الله عنهم باليوم الآخر في كل لحظة من لحظات حياتهم، ولفت نظرهم إلى أن كل حركه وكل عمل يحتسبون به وجه الله فهم مأجورين عليه ولو كانت عادة أو غريزة في النفس البشرية، لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يصعد الثانية ثنية المرار فإنه يحط ما حط عن بني إسرائيل"^(٢)، لذلك على كل مسلم ومسلمه أن يتذكر ويعي أن كل عمل يقوم به له فيه أجر وثواب ويجعله خالصاً لله.

٤- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روؤف على المؤمنين رحيم بهم لا يغضب لشخصه بل يغضب لحدود الله فلم يغضب الحبيب عند كتابة الشروط، ولا منع قريش له عن مكة هذا العام، ولم يغضب عندما تكلم عمر رضي الله عنه، ولكنه غضب على الصحابة رضي الله عنهم حينما لم يأتمروا بشرع بالتحلل من الإحرام، والإمتثال لأمر الله ورسوله.

٥- ونرى في قصة وحديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، حكماً فقهياً فلما وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأسه يتهافت يتساقط قملاً، فقال له صلى الله عليه وسلم: "أيوزيك هوام رأسك"، قلت: نعم، قال: "فاحلق رأسك" أو قال: احلق، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]^(٣)، ففي هذا الحكم رحمة وتخفيف بكل مسلم يمر بموقف كعب رضي الله عنه.

٦- ومن أحكام الحديبية الفقهية، رخص الصلاة وهي:

أ- الصلاة في الرحال حين المطر، قال أبو المليلح، قال: "لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وأصابتنا سماء لم تبل أسافل نعالنا، فنأدى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلُّوا في رحالكم"^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، ج ٧، ح ٥٧٥٤، ص ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ج ٨، ح ٢٧٨٠، ص ١٣٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج ٥، ح ٤١٩٠، ص ١٢٩.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ج ٢، ح ٩٣٦، ص ١٨٩.

ب- شروع صلاة الخوف، فقد ثبتت صلاة المسلمين لها في عسفان، بل جزم أهل العلم كابن القيم أن أول صلاة للخوف كانت في عسفان.

ت- شرع قضاء الصلاة الفائتة بالنوم أو النسيان عند تذكرها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية، فقال رسول الله: "من يكلؤنا _يحرصنا_، فقال بلال: أنا، فناموا حتى طلعت الشمس، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: افعلوا كما كنتم تفعلون، قال: ففعلنا، قال: فكذلك أفعلوا لمن نام أو نسي"^(١).

وهذه الرخصة لمن يجاهد نفسه، وليس فيها حجة للكسالى والمفرطين اللذين يتهاونون عن صلاتهم.

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ج ١، ح ٤٤٧، ص ٢٢٢.

الخاتمة

بعد ما تطرقنا إلى بعض التأملات في صلح الحديبية وتكلمنا عنها، أختتم البحث بأبرز

النتائج التي توصل به:

- ١- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة الأولى للبشرية في حربه وسلمه، وهو المعصوم رحمه للعالمين مهما شكك الحاقدين أو أدعى المبطلين.
 - ٢- من أبرز سمات شخصية الحبيب صلى الله عليه وسلم القيادة بأنواعها وجوانبها المختلفة، والتي ظهرت جلية في صلح الحديبية.
 - ٣- التسليم لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أعظم الدروس التي فقهها الصحابة رضي الله عنهم.
 - ٤- التشريع الإسلامي في صلح الحديبية تمثل في عدة أحكام فقهية وغيرها كأحكام الصلاة، والشورى.
 - ٥- مواقف الصحابة رضي الله عنهم تظهر مدى خيرية قرآنهم، ومنهم نتعظ، ونعتبر فهم من رأوا الحبيب صلى الله عليه وسلم، وعاشوا، وأخذوا منه فرضي الله عنهم وأرضاهم.
- والحمد لله رب العالمين.

الفهارس :

فهرس الآيات

موضع ذكرها في البحث	اسم السورة	رقمها	الآية
١٣	البقرة	١٩٦	(وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ...)
١٢	ال عمران	١٥٩	(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ...)
٥	الشورى	٣٨	(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ...)

فهرس الأحاديث

مكان ورودها في البحث	التخريج	الحديث
٣	البخاري	"أنتم خير أهل الأرض...."
١٣	البخاري	"أيؤذيك هوام رأسك؟...."
١١	ابن كثير	"إنا لم نقض الكتاب...."
٧،٦،٣	البخاري	"لقد أراد القوم...."
١٤	ابن ماجه	"لقد رأيتنا...."
٦،٥	البخاري	"لم قدم سهل بن حنيف...."
١٣	البخاري	"لا طيرة، وخيرها...."
١٣	مسلم	"من يصعد الثنية المزار...."
١٤	أبي داود	"من يكلؤنا...."
٦	البخاري	"يا نبي الله أتحب...."

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل، المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طواق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم النيسابوري، المحقق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، طبعة ١٤٠٦هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.
- تهذيب سنن أبي داود بهامش مختصر المنذري، المكتبة الإثرائية، باكستان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- المعجم الجامع، تأليف الدكتور مروان العطية، دار إيوان والنوادر، مصر.
- القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الدكتور عبدالله محمد الرشيد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ينبوع الغواية الفكرية: غالبية المزاج الليبرالي وأثره في تشكيل الفكر والتصورات، عبدالله بن صالح العجيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- دلائل النبوة (مخطوط) بمكتبة الجامعة الإسلامية.
- زوائد مسند البزار (مخطوط) بمكتبة الجامعة الإسلامية.
- موقع ويكي مصدر، <https://ar.wikisource.org>.

الفهرس

١.....	المقدمة
٣.....	التمهيد
٤.....	المبحث الأول: أبرز المواقف القيادية للرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية
٦.....	المبحث الثاني: التسليم في الحديبية
٩.....	المبحث الثالث: بعض مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في الحديبية
١٢.....	المبحث الرابع: أحكام من صلح الحديبية
١٥.....	الخاتمة
١٦.....	الفهارس